لم يعد تجاهلها ممكنا بعد ان فرضت نفسها بكثافة وفاعلية على ضمير العالم وعقله ، وبعد ان أصبح أخذها بالاعتبار امرا محتما لدى صنع كل قرار لا يتناول شؤون المنطقة العربية فحسب وانما كذلك علاقات الدول خارج المنطقة بعضها ببعض ، مهما كان هذا القرار سياسيا او اقتصاديا او عسكريا. واذا كان معسكر الاعداء قد حاول طمس هذه الحقيقة طويلا وبمختلف الوسائل الابادية فان النضال الفلسطيني مشفوعا بالتأييد العربي قد تمكن من جلوها بفعل تضحيات كثيرة كانت دائما تجعل الحقيقة الفلسطينية أكثر سطوعا . وكان لا بد ان تسطع هذه الحقيقة على الامم المتحدة ، مجمع الدول ، التي تظل — مهما كان الرأي بقراراتها — احدى ميادين الصراع من جهة، ومرآة للعالم ، لحقيقة ما يجري في العالم ، من جهة اخرى . وكان لا بد من الناحية المقابلة ان يحاول معسكر الاعداء حجب هذه الحقيقة عن هذا الميدان، وعندما أحاط الغش بهذه المحاولة (لاول مرة في تاريخ الامم المتحدة تحصر اسرائيل والولايات المتحدة في زاوية منفردتين معزولتين غير قادرتين على التأثير سوى بدولتين هامشيتين) تجري محاولة أخرى للتشويش ، وهي ملجأ العاجز المقهور ، بأساليب متعددة : الارهاب كان واحدا منها فجرى اعتداء على مكتب منظمة التحرير في نيويورك (١٠/٣٠) وهدد الوفد الفلسطيني بالقتل . كذلك لجأوا الى خلق جو من الاضطراب والفوضى في نيويورك نفسها لصرف الانظار عن حقيقة ما يجري فقامت تظاهرة صهيونية في ١١/٥ أمام مبنى الامم المتحدة « احتجاجا على دعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى الجمعية العمومية للامم المتحدة » ، وهدد بتسيير تظاهرة اخرى تضم ربع مليون شخص في يوم عرض القضية . ولان لبنان وقع الاختيار على رئيسه ، سليمان فرنجيه ، ان يكون ناطقا باسم العرب في الدفاع عن القضية من على المنبر الدولي، أصاب لبنان قسط كبير من هذه المحاولات الرامية الى التشويش . ففي اليوم نفسه الذي خطب فيه فرنجيه « عوقب » لبنان بعملية انتقامية استهدفت النبطية في الجنوب وأسفرت عن قتلى وجرحى كثيرين . ولكن على الرغم من ذلك فقد استمع العالم الى الحقيقة الفلسطينية أعلنها ياسر عرفات في ١١/١٣ ، وصفق لها طويلا دليلا على القبول بها والتسليم ليس بواقعها فحسب وانما بنتائجها ايضا .

قبل ايام قليلة من عرض القضية على الامم المتحدة اجاب أبو عمار عن سؤال لمراسل التلفزيون الفرنسي عما اذا كانت مشاركة منظمة التحرير في مناقشات الامم المتحدة « ستجبركم على وقف العمليات الفدائية » ، اجاب بقوله « يجب ان نعرف ما هي الثورة ، الثورة هي عمل متكامل ، عمل عسكري ، عمل سياسي ، عمل دبلوماسي ، عمل شعبي ، وكل هذه تشكل الثورة ، لان البندقية منفردة لا تشكل شيئا ، ولكن البندقية المجتمعة مع هذه الاشياء التي ذكرت تشكل الثورة بمجموعها . من هنا يجب ان نفهم ان العمل الدبلوماسي الذي نقوم به داخل الامم المتحدة انما هو فرع وجهد من الجهد الذي نقوم به في عملنا السياسي والدبلوماسي والعسكري الذي يشكل في مجموعه الثورة الفلسطينية ، ومعنى هذا اننا لا يمكن ان نوقف عملياتنا العسكرية ، انما يجب ان نصعد هذه العمليات العسكرية اكثر فأكثر ، كما نصعد عملنا الدبلوماسي والسياسي . يجب ان نصعد عملنا العسكري الى ان نأخذ حقوقنا ، ونحن لسنا عنصريين ولسنا فاشيست ، نحن عبارة عن ثورة حضارية تدعو الى هدف حضاري وهو انشاء الدولة الديموقراطية الفلسطينية التي يتعايش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون بمساواة وحرية واخاء » (وفا ١٠/٢٢). وكانت تلك بالفعل هي خلاصة الحقيقة الفلسطينية كما عرضها عرفات بتفصيل أمام المجتمع الدولي (نص خطاب أبو عمار صفحة ٥ من هذا العدد) .

عصام سخنيني